جوامع

الكون والفساد

لابن رشد

تحقيق

د . أبوالوفا التفتازانى و أ . سعيد زايد

تصدير ومراجعة

د . إبراهيم مدكور

المجلس الأعلى للثقافة
(بالتعاون مع الاتحاد الدولى للأكاديميات)

الهيئة المصرية العامة للكتاب
١٤١١ هـ - ١٩٩١ م

الفهرس

تصدير

مهمة إحياء التراث طويلة النفس دائما ، وحياتها فى أن يتوفر لها من المحققين من هو اهل لها ، وتراث ابن رشد متعدد ومتنوع ، وما أحوجه إلى تخصصات مختلفة ، ذلك لأن العلم والفلسفة فى هذا التراث يتعاونان ويتلاقيان .

وإذا كان ابن رشد قد عنى بالمنطق والإلاهيات ، فإنه لم يفته أن يقف طويلا عند الفلسفة الطبيعية فى مناحيها المتعددة ، وقد استلفتت الإلاهيات وتهافت التهافت الأنظار .

ودراساته الطبيعية لم تنل حظها بعد ، وأملنا اليوم فى أن يكون فى هذا الإحياء ما يتلافى نقصا وما يسد حاجة ، وقد عنى بالنص الذى بين أيدينا محققان عاشا مع ابن رشد زمنا طويلا ، وهما الدكتور أبو الوفا التفتازانى والأستاذ سعيد زايد ، وعشاق ابن رشد يعرفون جهدهما ومثابرتهما الطويلة. وكتاب « الكون والفسا د » بدء لسلسلة أرجو أن يتابعاها وأن يستكملاها . ومن حسن الحظ أنهما عولا على عدة مراجع وأفادا منها ، وأخرجا لنا نصا واضح الأسلوب نقى الدلالة ، وكلى رجاء أن يتابعا فلسفة ابن رشد الطبيعية ، وأن يستكملا أجزاءها .

وباسم قرائهما أسجل الشكر على جهودهما ، وأتمنى لهما الصحة والعافية ، لكى يتابعا أداء الرسالة التى اضطلعا بها .

إبراهيم مدكور

النسخ التى قام عليها التحقيق

١ — دار الكتب ـ حكمة وفلسفة ٢١١ ، عمومى ١١٨٦ وقد رمز لها بحرف (د) . تبدأ بالبسملة ثم بالصلاة على النبى والسلام عليه ـ كتبت بخط نسخ كبير نسبياً . تنتهى بعبارة : « انقضى القول والحمد لله والصلاة والسلام على نبيه محمد وآله وسلم » .

٢ — دار الكتب ـ حكمة وفلسفة ٥ ، عمومى ٤١٩٦ وقد رمز لها بحرفى (د ا) . تبدأ بالبسملة ثم بالصلاة على النبى والسلام عليه ـ كتبت أيضاً بخط نسخ كبير نسبياً ـ يمتاز بالوضوح . تنتهى بعبارة : « انقضى القول والحمد لله والصلاة على نبيه وآله وسلم » .

٣ — كتابخانة مركزى دانشكاة ـ طهران ٣٧٥ وقد رمز لها بحرف (ط) . تدخل مباشرة فى موضوع الكتاب بعد ذكر عنوانه ـ كتبت بخط نسخ دقيق يحتاج إلى جهد فى استبانته . تنتهى بعبارة : « انقضى القول فى هذا الكتاب بحمد الله وعونه بسم الله الرحمن الرحيم » .

٤ — جوامع المكتبة القومية بمدريد 5000 وقد رمز لها بحرف (م) . تبدأ بالبسملة ثم بالصلاة على محمد والسلام عليه ـ كتبت بخط مغربى غير واضح ، يلزم لقارئه الاستعانة بنسخة أخرى كى يتبينه . تنتهى بعبارة : « وهنا انقضى القول فى تلخيص هذا الكتاب كتاب الكون والفساد والحمد لله بجميع ما ينبغى حمده به » .

٥ — يني جامع ١٥٧٩ وقد رمز لها بحرف (ى) تبدأ بالبسملة ثم تعقب بعبارة (رب يسر) ـ كتبت بخط واضح يخلط بين النسخ والرقعة ـ غير منقوط فى كثير من كلماته . هذه النسخة غير كاملة . تنتهى بعبارة : « وأنه هناك أعطيت الأسباب العامة لجميع ما قوامه بالطبيعة . تم القول والحمد لله رب العالمين » .

بسم الله الرحمن الرحيم
رب يسـر

كتاب الكون والفساد لأرسطوطاليس

تلخيص القاضى الأجل أبو الوليد بن رشد رضى الله عنهم

وهو مقالتان

المقالة الأولى

قال : القاضى أبو الوليد

[١] غرض أرسطو من هذا الكتاب : التكلم فى التغايير الثلاثة التى هى الكون والفساد ، والنمو والاضمحلال ، والاستحالة ، وإعطاء ما به يتم واحد واحد من هذه التغايير وكيف يتم ذلك . وذلك أن التغير فى المكان ، وهو المسمى نقلة ، قد تكلم فيه فيما سلف ؛ وكان قد بقى عليه التكلم فى هذه الثلاثة .

[٢] وهو ههنا إنما يعرّف من أمر هذه التغايير المعنى العام لجميع التغيرات بها على ما يقتضيه الترتيب المنتظم فى التعليم .

[٣] أما الكون البسيط فهو ههنا يعرفه على التمام ، وأما كون المركبات فإنه يعرف ههنا من أمر جنسه ، ويعطى مبادئه وأسطقساته . فأما إعطاء جميع ما يتم به وتتقوم جميع الكائنات من المتشابهة الأجزاء ، ففى الرابعة من الآثار العلوية . وكذلك ما يعطى ههنا من حركة النمو كما

(١ ـ ٧) بسم الله . . . . أبو الوليد : بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على محمد وعلى آله وسلم تسليما كتاب الكون و م ؛ بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم كتاب الكون والفساد د أ ؛ كتاب الكون والفساد ط . (٨) غرض أرسطو : غرضه د ، د أ ، ط ، م || التكلم : الكلام ى . (١٢) التغيرات : المتغيرات د ، د أ ، ط ، م || (١٣) فى : من د ، د أ ، ط ، م . (١٥) أمر : أمره د ، د أ ، ى || ما يتم به : ما به ط ، م || وتتقوم : تقوم ط ، م ؛ تتقوم ى . (١٦) العلوية : ساقطة من د ، د ا ، م ، ى .

له فى كتاب النفس وكتاب الحيوان . وهو أيضا يروم فى إعطاء ما يعطى ههنا أسبَابَه ، وأن يعطى فى ذلك الأسبابَ القصوى ، كما فعل فيما تقدم .

[٤] فأما مرتبة هذا الكتاب ، فهو بعد كتاب السماء والعالم ، وذلك لأنه لما تبين هنالك أن الأجسام البسائط التى دون فلك القمر أربعة فقط ، وأنها يستحيل بعضها إلى بعض ويتكون بعضها عن بعض ، شرع ههنا يفحص عن جهة كون بعضها عن بعض ، وهل هذه الأجسام هى أسطقسات المركبات ، أو واحد منها ، أو أكثر من واحد . وإن كان واحداً منها أو أكثر من واحد ، فهل أيضاً بعضها أسطقس لبعض ، أو هى فى مرتبة واحدة من البساطة . ولذلك لقّبه بكتاب الكون والفساد ، لأنه وإن كان يتكلم ههنا فى حركة النمو والنقص وفى الاستحالة ، فكان تكلمه فيها إنما هو على جهة القصد الثانى ، وللمشاركة التى بينها ، وإعطاء الفرق بين هاتين الحركتين وبين حركتى الكون والفساد .

[٥] فلنبدأ بالتقاط الأقاويل العلمية من هذه المقالة على عادتنا . فنقول : إما أن هذه الحركات الثلاث موجودة ، فذلك بينٌ بنفسه ، وكذلك كونها متباينة ومتغايرة . وذلك أن الذى ينبغى أن يتحفظ به فى الكون وبه يتميز من سائر الحركات ، هو أن الكون يكون فى الجوهر ، وأنه من لا موجود إلى موجود . ويعنى ههنا بلا موجود ، ما ليس هو موجودا بالفعل ، وهو موجود بالقوة ، على ما تبين فى الأولى من السماع . وأنه لا يثبت الموضوع لهذا التغير ، حتى يكون واحداً بالحد والماهية فى طرفيه ، كالحال فى الاستحالة والنمو .

[٦] وكان القدماء فى هذا المعنى على مذهبين : منهم من كان لا يفرق بين الكون فى الجوهر ، والاستحالة فى الكيف ، وهم الذين كانوا يقولون إن الأسطقس واحد ، وإن الكون يكون منه بالتكاثف والتخلخل ؛ ومنهم من كان يفرق بين الاستحالة والكون بأن يجعل الكون فى الاجتماع والافتراق ، مثل أصحاب الجزء الذى لا يتجزأ .

(١) كتاب : كتب د ، د أ ، ط ، ى || النفس : النقص ط ، م ، ى || وان : ان د ، د أ ، ط ، م . (٣) لأنه : انه ى || هنالك : هناك ى . (٤) وأنها : وإنما ط || إلى : عن ط . (٥) كون : تكون ى . (٦) أو أكثر : فأكثر م || (٧) أو : أم ط . (٩) تكلمه : كلامه ى || فيها : فيهما د أ . (١٠) القصد : الفصل ط ، م || وللمشاركة : والمشاركة ى || بينها : بينهما د أ || وإعطاء : وأعطى ى . (١٠) حركتى : حركة د ، د أ ، ط ، ى . (١١) العلمية : التعليمية دأ : ساقطة من ى . (١٣) يكون : ساقطة من ى . (١٤) ويعنى : فيعنى م || بلا موجود : لا موجود ى || موجودا : ساقطة من ى . (١٥) || بالفعل : + موجود ى . (١٦) التغير : التغيير د أ || بالحد والماهية : مشار إليه ى . (١٧ ــ ٢٠) وكان القدماء . . . . لا يتجزأ : ساقطة من د ، دأ ، ى .

[٧] إلا أن هؤلاء كانوا يقولون : إن الاستحالة شيء يظهر للحس ، وليس شيئاً حقيقياً ، لأن الاسطقسات لم تكن تقبل الانفعال ، لأنها لو قبلت الانفعال لكانت مركبة .

[٨] وأرسطويرى أن الاستحالة ضربان : استحالة فى الجوهر ، وهى المسمى كونا وفسادا أو استحالة فى الكيف وهو المسمى كيفيه . والسبب فى ذلك كله ، طبيعة المادة الأولى ، وطبيعة مخالفة الصور للأعراض ، لأن الموضوع فى هذا التغير هى المادة الأولى . ولكونها غير متعربة من الصور وجب أن يكون الكون سرمداً ، لأن كل كائن فهو كائن من فاسد ،

[٩] وأما الفرق بين الاستحالة والنمو ، فبين . وذلك أن أحدهما فى الكيف ، والآخر فى الكم . وأيضاً فإن النامى يتحرك فى المكان بأجزائه ، ويضبط مكانا أعظم مما كان فيه ، والاستحالة ليست كذلك . وهذا يفارق النمو أيضاً بالكون والفساد . وأيضاً الموضوع الثابت فى حركة النمو هو الصورة على ما سنبين بعد .

[١٠] والموضوع لحركة الاستحالة هو الشيء المشار إليه من حيث هو ذوهيولى وصورة . وأما موضوع الكون والفساد ، فالمادة الأولى . ولذلك ليس هو شيئاً بالفعل .

[١١] وإذ قد تبين الفرق بين وجود هذه الحركات ، فقد ينبغى أن نشرع فى القول فى حركة النمو ، ونعطى بماذا ينمو النامى ، وكيف ينمو ، وذلك بحسب ترتيب أرسطو .

[١٢] فنقول : إنه ينبغى أن نتحفظ عند الفحص عن هذه الحركة ، بالأشياء الذاتية الموجودة للنامى ، وأحدها هو أن النامى إنما ينمو فى جميع أجزائه ، وأن كل نقطة منه محسوسة تصير أعظم ، وأن تَنَقُّصه يكون أيضا بالعكس ، أعنى فى جميع أجزائه .

[١٣] والثانى أنه ينمو بورود شيء عليه من خارج ، وهو الغذاء . فإن القول بغير هذا ، شرارة أو نقص فى الفطرة الإنسانية .

(١ ـ ٥) إلا أن . . . المادة : ساقطة من د ، دا ، ى . (٣) المسمى : مسماة م . (٦) وجب : واجب د ، دا ، ط . || كائن من فاسد : فاسد وكل فاسد فهو فاسد إلى كائن د ، دا ، ط . (٨) ويضبط : ويهبط ى . (١٠) ماسنبين : ما تبين ى || بعد : ساقطة من م (١١) لحركة : بحركة ى || ذو : ساقطة من ى . (١٣) الفرق بين : ساقطة من ى || الحركات : الحركة ى . (١٥) نتحفظ : نحفظ ط || الحركة : الحركات دا . (١٦) ينمو : ينمى دا . (١٧) أعنى : ساقطة من م (١٨) أنه : + إتمام || ينمو : ينمى دا ، م .

[١٤] والثالث أن فيه شيئا ثابتا على حاله .

[١٥] والرابع أن الذى يرد من خارج لا ينمى إلا بأن يستحيل ، ويتغير إلى جوهر النامى . فإن الخبز لا ينمى حتى يتغير دما ، والدم حتى يتغير فى اللحم لحما وفى العظم عظما .

[١٦] وإذا كان هذا هكذا ، وكان النامى إنما ينمى فى كل جزء منه ، وكان ليس يمكن ، فى الذى يرد من خارج أن يتغلغل وينفذ فى جميع أجزاء النامى ، إذ كان ليس يمكن أن يداخل جسم جسما بكليته ، فلم يبق وجه تكون له هذه الحركة إلا بالاختلاط والامتزاج أولا ، وتغير الذى يرد من خارج عندما يختلط إلى جوهر الشىء المختلط به الذى فى النامى . كالحال مثلا فى الماء فى القدح ، فإنه متى وردت عليه نقطة خمر محسوسة القدر ، يزيد الماء فى جميع أجزائه حافظا لشكل القدح ، وتغيرت هى إلى جوهر الماء . وإنما يزيد الماء فى جميع أجزائه ، لا بأن الجزء الوارد من الخمر داخل جميع أجزاء الماء ، بل بأنه لما ورد على الماء ، اندفعت عنه جميع أجزاء الماء على السواء ، فيزيد الماء فى جميع أجزائه من حيث هو حافظ للشكل الذى كان له من الحاوى له . فالماء إذن متزيد فى جميع أجزائه من جهة وغير متزيد من أخرى .

[١٧] أما من حيث هو ذو شكل مّا ، ففى جميع أجزائه ، وأما من حيث هو ذو كمية ، فإنما يتزيد فى جزء واحد فقط ، وهو الوارد . فذلك ما يظهر أن النمو إنما يكون فى الصورة لا فى المادة ، ولكنه هو فى الصورة من جهة مّا هى ذات كمية . وتسميتنا مثل هذا اختلاط ، تجاوز على ما سيقال فى حد المختلط . فأما أن الاختلاط ليس يكون بتجاوز الأجزاء الصغار بعضها لبعض ، فسيظهر فيما بعد أن ذلك ليس بالاختلاط ، وهو الذى قلنا إن النمو إنما يكون بالاختلاط أولا .

[١٨] فبالواجب ما صيرت الطبيعة فى أعضاء الحيوان رطوبة أصلية مبثوثة فيها ، قد استنقعت بها الأعضاء كما يستنقع الفتيل بالزيت ، لأن الاختلاط إنما يكون للأجسام الرطبة ،

(٣) والدم : ولا الدم م . (٤) جزء : حين د ؛ حيز د أ || (٥) يتغلغل : يتفاعل ى . (٦) له : به د أ . (٧) يزيد : يتزيدى . || (١٠) الخمر : الماء م || بل بأنه لما ورد : ساقطة من د || بل بأنه لما : بل أنه ماء م || بل : ساقطة من ى . (١٠ - ١١) || على الماء . . . . أجزاء : ساقطة من د || فيزيد : فيتزيد ى || للشكل : الشكل ى . (١٣) أما من حيث هو ذو شكل مّا : أما فى جميع أجزائه فمن حيث هو ذو شكل ما د ، د أ || وأما من حيث : ساقطة من د ، د أ . (١٤) إنما : أن ط || (١٥) ولكنه : ولكن د ، د أ م ، ى || وتسميتنا : ويسمى ى . (١٦) تجاوز : تجوز م . (١٧) لبعض : ببعض ط || بالاختلاط : باختلاط د ، د أ ، ط ، م || وهو : ولهذا ط ، ى ؛ وهذا م . (١٩) فبالواجب : فالواجب ط ، م ؛ بالواجب ى || ما صيرت : ما ميزت د || قد : ساقطة من د أ . (٢٠) إنما : أن د أ ، ط ، م .

السريعة الاتحاد ، على ما سنقول / فى حد المختلط . وهذه الرطوبة التى فى أعضاء الحيوان هى آخر ما تختلط بها الأغذية التى ترد من خارج وتنقلب إلى جوهرها ، ثم تفعل فيها الحرارة الغريزية ، على ما سنبين بعد ، فتصير لحما فى اللحم وعظما فى العظم . وكذلك يشبه أن يكون الأمر فى النبات ، وفى كل نام .

[١٩] وليس الذبول للحيوان شيئاً غير فناء هذه الرطوبة . ولهذا السبب كان النمو إنما يوجد أولا للأعضاء البسيطة المتشابهة الأجزاء ، وهى التى حد الجزء والكل منها واحد . كاللحم والعظم ، وسائر الأعضاء البسيطة .

[٢٠] فإنه من الظاهر أن اليد إنما تنمو بنمو الأعضاء البسيطة التى هى مركبة منها ، وكذلك جميع الأعضاء الآلية . والفرق بين هذه الحركة وبين حركة الكون ، أن فى حركة الكون ، الذى يحدث هو شىء مشار إليه ، لم يكن له وجود قبل ، إلا بالقوة وفى حركة النمو إنما تحدث كمية مّا فى مشار إليه لم تتبدل صورته .

[٢١] مثال ذلك أن نعمد إلى نار محسوسة فننمى جوهرها ، بأن نضع عليها حطبا . فإن مثال هذا لا يسمى كونا إلى جملة النار ، بل تزيد فى أجزائها . ولهذه الأشياء التى قيلت ، يظهر أن الشىء الثابت فى النامى هو الصورة ، وأنه فيما ينمى الشىء لا فى مادته ، فإن المادة ليس يمكن أن تنمو بجميع أجزائها من حيث هى مادة ، إذ كان ليس يمكن أن يداخل جسم جسما بكليته ، بل إنما ينمو الشىء فى جميع أجزائه ، من حيث هو ذو صورة ، والمادة هى له متبدلة بأن تزيد عند النمو ، وتنقص عند الذبول ، والصورة ثابتة على حالها كالحال فى ظل الشخص الواقع على النهر ، فكما أنه ثابت فى نفسه ، وتتبدل أجزاء النهر التى قام عليها الظل ، كذلك الحال فى صورة النامى مع ما يرد عليه من مادة .

[٢٢] لكن ليس هذا ممكنا فى جميع أجزاء المادة ، وإلا أمكن ، فى الصورة الهيولانية أن تفارق بل فى بعض أجزائها . والإسكندر يستشهد على أن فى الحيوان أجزاء تثبت فيه من كونه إلى فساده ، بأثر بعض القروح التى تبقى فيه مع طول عمره .

(٣) بعد : ساقطة من د ، د أ ، ط . (٥) غير : سوى د ، د أ || فناء : نقص ى || ولهذا : وبهذا د ، د أ ط || إنما : أنها ط . (١٣) مثال : مثل د ، د أ ، م ، ى || أجزائها : + من حيث هى مشكلة بشكل ما د ، د أ . (١٤) فيما : فيها ط || الشىء : ساقطة من د أ || مادته : مما حادثه ى . (١٥) هى : أنها ى . (١٦) إنما : + هو ط || له : ساقطة من د أ ، م || (١٧) بأن : ساقطة من د أ ، ى || ظل : الظل ط . (١٨) وتتبدل : ومبتدل د ، د أ . (٢١) والإسكندر : وأرسطو د ، د أ .

[٢٣] وأما الفرق بين النمو وبين التغذى ، فهو أن الذى يرد من خارج إذا كان بقدر ما يتحلل سمى تغذيا ، وإذا كان أكثر منه سمى نموا ، وإذا كان أنقص سمى ذبولا واضمحلالا . وظاهر مما قيل فى هذه الحركة ، أن الشىء الذى ينمى يلزم ضرورة أن يكون لجهة ضدًا ولجهة شبيها . أما كونه ضدا ، فمن جهة ما يستحيل ؛ وأما كونه شبيها ، فمن جهة قبوله صورة النامى وتغيره إليه . وسيظهر هذا بوجه أتم عند القول فى الفعل والانفعال .

[٢٤] فأما ما به تكون هذه الحركة ، وما السبب الفاعل لها ، فسيظهر فى كتاب الحيوان أن ذلك يكون بالحار الغريزى . ويظهر فى كتاب النبات أن ذلك أيضاً إنما يكون فيه شىء يشبه الحار الغريزى ولحرارة الكواكب ، وبخاصة الشمس ، بل يظهر فيهما معا . أعنى فى الحيوان والنبات ، أن المحرك الأقصى فى هذه الحركة هى النفس الغاذية ، وأن الحرارة آلة لها ، ولأنه مزمع أن يقول : كيف تتولد المركبات عن البسائط ، وكان ذلك لا يتم إلا بمماسة ، وفعل وانفعال ومخالطة ، لأنه لا يكون موجود مّا عنه أكثر من موجود واحد إلا بالاختلاط ، على ما سيظهر ، كالحال فى السكنجبين المؤلف عن الخل والعسل . والاختلاط لا يكون دون فعل وانفعال ، والفعل والانفعال لا يكونا إلا بتماس ، فلذلك هو مضطر إلى الفحص عن هذه الأشياء ، وإعطاء ما تدل عليه أسماؤها من الأقاويل الشارحة .

[٢٥] ولنبدأ من القول فى التماس ، فنقول إن المتماسين ، كما قيل : هما اللذان نهايتاهما معا . وهذا ضرورة ، إنما هو فى الأشياء التى لها وضع . إلا أن هذا النوع من التماس ، إذا لم يشترط فيه ألا يكون أحدهما فاعلا فى صاحبه أو منفعلا عن صاحبه كذلك كان تماسا تعليميا ، كما يقال إن الخط يماس محيط الدائرة ، وليس هذا هو التماس المعنى ههنا .

[٢٦] وبمثل هذا الوجه نقول : إن فلك القمر يماس فلك عطارد . وأما التماس المعنى

(١) فهو : وهوى . (٢) سمى (الثانية) : يسمى ى . وإذا : وإن م . (٣) واضمحلالا : واضمحالا ى . مماقيل : ما ط . (٤) لجهة ضدا ولجهة شبيها : لجهة ضدا وبجهة شبيها د ، دا ، ضدا وبجهة شبيها ى . (٥) وتغيره : وتغييره ى . بوجه : الوجه د ، د أ . (٦ ـ ٧) أن ذلك : وذلك ط ، م ، ى . (٨) ولحرارة : وبحرارة د ، د أ ، ى || يظهر : ليظهر ط . فيهما معا : فيها ى . (١٠) بمماسة : بمناسبة د أ . (١١) موجود مّا عنه : موجودان هما عن د ، د أ ؛ موجودا مّا عن ى . (١٢ ـ ١٣) دون فعل وانفعال : فعل وانفعالا ى . (١٣) لا يكونا : لا يكون د ، د أ ، ط ، م || إلى : أولا د ، ط ، ى ؛ ساقطة من د أ . (١٤) من الأقاويل : وهى الأقاويل د أ . (١٥) فى التماس : بالتماس د ، د أ || المتماسين : التماس د ، د أ ، ى || قيل : + فى المتماسين ى . (١٥) نهايتاهما : نهايتهما ى . (١٦) وضع : يوضع د ، د أ . (١٧) ألا يكون : أن يكون د ، د أ ، ط ، ى || فاعلا عن صاحبه أو منفعلا عن صاحبه : فاعلا ومنفعلا عن صاحبه د ، د أ . كذلك : ساقطة من د ، د أ ، ط ؛ وإلا ى . (١٩) عطارد : العطارد ط م .

ههنا ، فهو أن يكون كل واحد من المتماسين اللذين حددناهما فاعلا فى صاحبه ومنفعلا عنه ، كما يعرض فى الأجسام الطبيعية المتضادة التى هيولاها القريبة مشتركة وواحدة ، عندما تتم وتتماس بنهاياتها . وليس يقال متماسان فيما أحدهما فاعل فقط والآخر منفعل ، كالحال فى فلك القمر والنار بتأخير عن هذا المعنى الحقيقى . فإن التماس تفاعل ، والتفاعل من المضاف ، ولذلك يقتضى بأن يكون كل واحد منهما محركا لصاحبه ومتحركا عنه . وبهذا يصح أن يقال فيهما إنهما متماسان ، أى يمس كل واحد منهما صاحبه .

[٢٧] وأما على ذلك الوجه ، فأحدهما مماس والآخر ممسوس وقد يقال : المس . بالاستعارة على وجه أبعد وهو فيما ليس له وضع ، كما يقال مسّنى الضرّ . فهذه جميع المعانى التى يقال عليها التماس . وبين أن القول الشارح للمعنى المقصود ههنا هو ما هو يوجد ، أو كان بينا بنفسه . وإذ قلنا فى التماس ما هو والمتماسين ، فلنقل فى الفعل والانفعال ، فنقول : إن الفاعل والمنفعل ينبغى أن يكونا من جهة متغايرين وضدين ، ومن جهة شبيهين ، أما كونهما ضدين فمن جهة مّا يفعل كل واحد منهما فى صاحبه والآخر منفعل . فإن الشبيه لا يفعل فى شبيهه ، وإلا كان الشىء محيلا ذاته ، وإنما يفعل الضد فى ضده .

[٢٨] وأما الجهة التى يلزم عنها أن يكون شبيها ، فمن جهة قبول كل واحد منهما الفعل عن صاحبه ، فإن الضد لا يقبل ضده ، ولذلك ليس تصير الحرارة بردا ، ولا البرد حرا ، بل الموضوع لهما هو الذى يصير حارا بعد أن كان باردا ، وباردا بعد أن كان حارا . وإذا كان هذا هكذا ، فإذن الانفعال والفعل إنما يوجد فى الأضداد ، فإن الأضداد قد اجتمع فيهما الأمران المشترطان فيها ،أعنى أنها متغايرة من جهة ، وشبيهه من جهة . أما شبيهه فمن جهة ما الموضوع ، وأما المغايرة فمن جهة الفعل والانفعال . القريب لها واحد ، ولذلك ما كان الضدان لهما جنس واحد .

(١) يكون : ساقطة من ى .فى صاحبه : لصاحبه د ، ط ؛ بصاحبه دا ، ى . (٢) فى : من د ، ط . (٤) بتأخير : يتأخر د ، دا ، ط ؛ إلا بآخرى || المعنى : التماس د ، دا . (٥) ولذلك : وذلك د ، دا ، ط ، ى || يقتضى : ينبغى م . (٦) يمس : مس ط ، م . (٧) فأحدهما : + هو دا . (٨) الضر : الغيرى . (٩) هو ما : من بينها د ؛ منه من بينها دا || ما هو : ساقطة من ى . (١١) ينبغى : يجب ى || وضدين : ومتضادين م . (١١-١٢) أما كونهما ضدين : وإما أضداد ط ؛ إما أضداد م . (١٢) والآخر منفعل : ساقطة من ط ، ى . (١٣) وإلا كان الشىء محيلا ذاته : ساقطة من ى || الضد : الفعل ى . (١٥) ولا البرد حرا : ولا الحر بردا م . (١٦) وباردا : أو باردا د ، ى . (١٨) المشترطان : الشرطان د ، دا || فيها : فيهما م || وشبيهه : وشبيه ى || فمن : من د . (١٩) وأما . . والانفعال : ساقطة من ط ، م . (٢٠) الضدان : + ليس د ، دا . لهما جنس واحد : ساقطة من ى :

[٢٩] ولهذه العلة ليس ينفعل الخط عن الحار ولا أى شىء اتفق عن أى شىء اتفق ، ولا من أى شىء اتفق ولا إلى أى شىء اتفق ، بل إنما يوجد الانفعال من ضد محدود إلى ضد محدود . كأنك قلت من البياض إلى السواد ، ومن الحار إلى البارد أو إلى المتوسط بينهما . ولا أيضاً يوجد الفعل والانفعال فى الأشياء التى موادها مختلفة ، أعنى أنه لا يوجد من كل واحد منها فى صاحبه فعل وانفعال . فإن الأبدان تنفعل عن صناعة الطب ، وليس تنفعل صناعة الطب عنها ، إذ كانت هيولى المرض الأخلاط ، وهيولى صناعة الطب النفس . ولذلك كان فلك القمر يفعل فى النار ولا ينفعل عن النار ، ولذلك ما نقول إذن أنه إن وجدت ههنا صورة فاعلة فى غير هيولى ، فتلك غير منفعلة أصلا ، وإن وجدت صورة غير منفعلة ، كما يقال فى العقل ، فتلك فى غير هيولى ضرورة . إن هذين المعنيين متلازمان ، والفاعل أخص من المحرك ، لأن الفاعل هو ما فعل كيفية انفعالية فقط ، والمحرك ما أفاد نوعا من أنواع التحريك ، كان فى المكان أو فى غيره . ومن هنا يظهر أن ليس فى جميع أنواع الكيف يكون الانفعال ، بل فى النوع الثالث ، كما قيل فى السابعة من السماع .

[٣٠] إلا أن من هذه الانفعالات والمحرك لها من نوعها ، كالحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة ، ومنها ما هى تابعة لفعل هذه القوى ولازمة عنها ، وليس فاعلها من جنسها ، على ما سيظهر ، كالألوان والطعوم والصلب واللين وغير ذلك . لكن هذا ليس بمخرج لها عن كونها انفعالات . فأما كيف يفعل الفاعل ويقبل المنفعل ، فليس يقال فى ذلك أكثر من أن الشىء إذا كان بالقوة فيه أمر مّا وورد عليه محرك من خارج صار إلى ما كان به بطباعه ، فيخرج من القوة إلى الفعل . فأما الثُّقب التى كان من سلف من القدماء يرون أنها سبب الانفعال ، فإنها لأن تكون سببا بالعرض أولى منها أن تكون سببا بالذات ، ولكن هى بوجه مّا مسهلة .

(١) عن : على د أ . (٢ ـ ٣) ولا إلى . . . . بينهما : ساقطة من د ، د أ . (٢) من (الثانية) : عن أ . (٥) منها : منهما ط ،م ، ، ى || فى : من م ؛ على ى . || (٦) المرض : لمريض ط || الطب : + فى ط . (٧) أنه إن : أن النار ط . (٨) ههنا . . وجدت : ساقطة من ى . (٩) إن : وإن ط . (١٠) انفعالية : انفعاله د ، د أ . (١١) التحريك : التغير د ، د أ ، ى . أن : أنه ى . (١٢) السابعة : السابقة ط ، م . (١٣) لها : فيها ى . (١٥) مخرج : بمخرج د ،د أ . (١٦) يفعل : ساقطة من ى . (١٧) صار : وصار د ط . به : له ط ، م ، ى . (١٨) الثقب : البثث ط . التى : الذى ى . (١٩) فإنها لأن تكون : فهى د ، د أ ؛ فهى لا تكون ط ، ى || منها : بها ى || هى بوجه ما مسهلة : أوجه هى سهلة ط ؛ بوجه هى مسهلة م .

ولذلك نلقى بعض أجزاء الشيء أكثر قبولا للانفعال من بعض ، بمنزلة ما نلقى فى المعدن عروقا ممتدة من الفضة قابلة للتأثير دون باقى ما فيه .

[٣١] والعلة فى ذلك استعداد بعض أجزاء الشيء لقبول الفعل أكثر من بعض . وأما من يرى أن سبب الانفعال هو تداخل الأجزاء التى لا تتجزأ فى المنفعلين الفاعلين بعضها على بعض ، فذلك رأى مبنى على القول بوجود أجرام غير منقسمة ، وقد تبين بطلان ذلك فى السادسة من السماع .

[٣٢] وإذ قد قلنا فى التماس والفعل والانفعال ، فلنقل فى الاختلاط والمزاج . فنقول : إن الاختلاط ليس هو أن يكون كل واحد من المختلطين قائمين بالفعل ، فإن مثل هذا إنما يسمى تجاورا أو تماسا ، ولا أيضا أن يكون واحد منهما قد فسد . فإن قطرة الماء إذا وقعت فى جام الخمر ، لا يقال إنها مازجت الخمر ولا خالطته ، لأنها بالكلية تفسد وتستحيل إلى طبيعة الخمر . ولهذا لم يجز أن يسمى ورود الغذاء على النامى مخالطة ، ولا أيضا يكون الاختلاط والامتزاج بأن يفسد كل واحد منهما حتى لا يكون له وجود إلا بالقوة المحضة فإن مثل هذا هو كون وفساد .

[٣٣] وإذا لم يكن الاختلاط ولا واحد من هذه ، فإذن الاختلاط إنما هو أن يحصل عن كل واحد من المختلطين عندما يختلطان شيء آخر بالفعل متحد ومغاير بالصورة لكل واحد من المختلطين ، على أن كل واحد من المختلطين موجود فيه بالقوة القريبة من الفعل لا بالقوة البعيدة على ما يشاهد من أمر الأشياء المختلطة الطبيعية منها والصناعية . ومن الدليل على أن وجود الأشياء المختلطة فى المتولد عنها بالقوة القريبة أن فى بعضها قد يمكن أن ينفصل بعد المزاج والاختلاط ، وذلك إما بالطبيعة وإما بالصناعة ، كالحال فى الأنفحة التى تميز جبنية اللبن من مائيته .

(١) أجزاء : جزء ى . الشيء : ساقطة من د . (٣) وأما : فأما دا ، م . (٤) هو : ساقطة من دا . لا تتجزأ : تتجزا د ، دا ، ط ؛ لا تتحرك ى المنفعلين الفاعلين : ساقطة من د ، دا (٥) رأى : ساقطة من د ، دا || بوجود أجرام : بأجزاء د ، دا . تبين : سبق د ، دا ؛ تبلغ ط ، م . (٧) قد : ساقطة من ط م || والمزاج : والامتزاج ى . (٩) أو تماسا : تماسا م ، ى . (١٠) إنها : أيضا ى || لأنها : لأنهما ى || بالكلية : بالعكس ط . (١١) يجز : نستجر د ، دا ، م ؛ ساقطة من ى . (١٢) المحضة : ساقطة من ى || هو : ساقطة من دا ، ط . (١٤) هذه : هذا ى || عن : على دا . (١٥ - ١٦) عندما . . . . المختلطين : ساقطة من ط . (١٦) موجود : موجودين د ، دا . (١٧) أمر : أن ى || منها : ساقطة من دا . (١٩) إما بالطبيعة : بالطبيعة د ، دا || الأنفحة : ساقطة من ى || تميز : تغيرى . (٢٠) مائيته : مائه ط .

[٣٤] وليس الاختلاط هو أن ينحل كل واحد من المختلطين إلى ما فيه من الأجزاء غير المنقسمة ، ثم تتجاوز تلك الأجزاء ويشتبك أى جزء منها اتفق إلى جانب أى جزء اتفق ، كما يقول بذلك أهل القول بالجزء الذى لا يتجزأ . فإن هذا إنما كان يمكن لو تناهت قسمة الجسم حتى تنحل إلى أجسام غير منقسمة .

[٣٥] فأما إن كان الاختلاط أن ينحل المختلط إلى أجزاء منقسمة فى أنفسها ، ثم تختلط ، لكن لصغرها يخفى عن الحس اتصال نهايات بعضها ببعض ، كما كان يرى كثير ممن سلف من القدماء ، فإن مثل هذا إنما هو تركيب فى الحقيقة . وليس يدّعى اختلاطا . على أن الأمر كذلك فى نفسه ، بل يكون مثل هذا اختلاطا عند إنسان ، وليس يكون عند آخر ، إذا كان أنفذ بصرا منه ، حتى لا يكون ههنا شيء مختلط عند الرجل المضروب به المثل فى حدة البصر . وأيضاً ، فلو كان الأمر هكذا لما حدث عند الاختلاط شيء مغاير بالصورة والماهية للأشياء التى منها اختلط ، فكان يكون الدم مثلا ، فيه ماء وهواء وأرض ونار بالفعل ، بل كان يكون مركبا منها على أنها موجودة فيه بالفعل ، سواء أحست فيه تلك الأجزاء أو لم تحس وهذا كله بين السقوط بنفسه .

[٣٦] وإذ قد تبين من أمر الاختلاط هذا ، فإذن المختلطان يلزم أن يكون كل واحد منهما فاعلا فى صاحبه منفعلا عنه . والذى بهذه الصفة هما الأضداد التى الهيولى القريبة لها واحدة ، كما تقدم فى الفعل والانفعال . فإن اختلاط الشيء بنوعه لا يسمى مزاجا ولا اختلاطا إذ كان ليس يحدث عن ذلك شيء آخر ، ولا أيضا يقال فى الأشياء التى ليست هيولاها القريبة واحدة أنها مختلطة ، ولا يمكن فيها الاختلاط . ولذلك لسنا نقول إن الصانع مختلط بالمصنوع عندما يماسه ، والأشياء المختلطة تجتاح مع أنها أضداد . وسائر ما شرطناه أن تكون سهلة التقسيم إلى أجزاءصغار . وحينئذ يمكن فيها أن تخلع نهاياتها وتتحد ، ولذلك يلزم ضرورة أن تكون

(١) غير : الغير ط ، م . (٢) تتجاوز : تجاوز ط منها : ساقطة من د ، د أ ، ط . (٣) القول بالجزء : الجزء م || لا يتجزأ : لا يتحرك ى . (٥) الاختلاط أن : ساقطة من د ، د أ ، ى || المختلط : مختلطا د ؛ مختلطان د أ ؛ المختلطان ى || فى : ساقطة من د ، د أ . (٦) لكن : لكنه ط || لصغرها : بصغرها د ؛ أصغرها ى || عن : على ى || كان : ساقطة من د . (٧) إنما : فإنما ى . (٨) وليس : ولا د ، د أ .(٩) أنفذ : أبعد ى . (١١) اختلط : ى || الدم : ساقطة من ى || فيه ماء وهواء : ما فيه هواء د ، د أ . (١٢) فيه (الثانية) : ساقطة من د أ || تلك : بتلك ى . (١٣) بنفسه : ساقطة من ى . (١٤) هذا : ساقطة من د || المختلطان : المختلط م || منها : ساقطة من د ، د أ . (١٥) عنه : ساقطة من د أ ، ط ، ى || لها : لهما د ، د أ . (١٦) فان : قال ط ، م || فإن اختلاط : فإن اختلط ى . (١٧) هيولاها : هيولاتها د ؛ فى هيولاتها د أ . (١٩) تجتاح : تحتاج د ، ط ، م ، ى .

الأشياء المختلطة رطبة ، وإن كان أحدهما يابسا ، فليس يختلط حتى يترطب ، وإن كانا يابسين جميعا ، فلابد ضرورة أن يكون بينهما رطوبة مشتركة ، كالحال فى اتصال العظام عندما تنكسر .

[٣٧] وإذا كان هذا هكذا ، فإذن الاختلاط هو اتحاد المختلطين بالاستحالة والأشياء التى يمكن فيها الاختلاط ، تتفاضل فى ذلك بحسب قرب المادة المشتركة لها وبعدها ، حتى أن فى بعض ليس تزيد كمية المختلط عن الاختلاط ، بل إنما تستفيد من ذلك كيفية فقط ، كالحال فى مخالطة الرصاص للنحاس ؛ والقول فى تلخيص المزاج على التمام ، وكيف يكون وبأى شىء يكون هو فى المقالة الرابعة من الآثار العلوية .

[٣٧] انقضى القول فى المقالة الأولى بحمد الله وعونه .

(٢) اتصال : ساقطة من د العظام : + المتصلة د . (٦) تزيد : تتزيد ى . (٨) المقالة : ساقطة من د ، د أ ، ط ، م .
(٨ — ٩) العلوية . . . وعونه : ساقطة من د ، د أ ، م ؛ تمت ى . (٩) بحمد الله وعونه : ولواهب العقل الحمد بلانهاية مطابق لذاته م .

بسم الله الرحمن الرحيم

رب يسر برحمتك

المقالة الثانية

من كتاب الكون والفساد لأرسطو

تلخيص القاضي أبو الوليد بن رشد رضى الله عنهم

هذه المقالة يبتدىء فيها بالفحص عن الأشياء التى تدعى اسطقسات الأجسام ، ما هى ، وكم عددها . فنقول : إن الأجسام الكائنة الفاسدة صنفان : بسائط ومركبات ، وكل واحد من هذين الصنفين مركب من هيولى وصورة ، على ما سلف .

[٣٨] أما الأجسام البسيطة ، فالمادة القريبة لها هى المادة الأولى ، على ما تبين . وصورها هى المتضادات الأولى الموجودة فيها ، أعنى الثقل والخفة والحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة . وأما الأجسام المركبة ، فالفحص ههنا من أمرها إنما هو عن المواد القريبة لها ، والاسطقسات وهل هى جميع هذه الأجسام البسائط أو أكثر من واحد منها . والسبيل إلى ذلك أولا ، يكون بأن نقف على أصناف المتضادات الأولى ، التى عنها يلزم وجود المتضادة المشتركة لجميع الأجسام الكائنة الفاسدة . فإن كانت هذه المضادة فيها أولى ، وفيها غير أولى ، أحصينا الأول منها . وإن كانت كلها أوائل ، أحصينا جميعها ، وقلنا : إن هذه هى ضرورة صور الأجسام الأول التى منها وجدت جميع أصناف المتضادة فى جميع الأجسام . مثال ذلك أن المتضادة الموجودة فى الأشربة التى هى فى جنس الطعام ، والمضادة الأولى فى الطعم هى الحلاوة

(١ ــ ٥) بسم الله .... عنهم : المقالة الثانية د ، د أ ، ط ، م . (٥) عنهم : + قال يبتدىء فى ى . (٦) الأجسام : للأجسام د ، د أ || ما هى : أى هى د ، د أ ، ط ، م . (١٠) المتضادات الأولى : المتضادات الأول د ، د أ ؛ المتضادة الأولى ى . (١١) المواد : ساقطة من ى . (١٣) الأولى : الأول د ، د أ ، ط ، م . (١٤) المضادة : المتضادة د ، م || وفيها : منها د ، د أ ؛ ساقطة من م . (١٥) الأول : الأولى د أ ، ط ، م . (١٧) المتضادة : المادة د ، د أ ؛ المضادة ى || التى : ساقطة من د أ ، م . الطعام : الطعم د أ ، ى .

والمرارة. وإذا كان ذلك كذلك فبالواجب صارت اسطقسات الأشربة ، الأشياء الحلوة والمرة .

[٣٩] فيجب إذن أن تحصى أصناف المتضادات التى فى الغاية ، التى فى جميع الأجسام ، ونتأمل ما منها بسائط ، وما منها متولد عن البسائط ، كالصلب واللين الذى هو عن اليبوسة والرطوبة . فإن ألفينا بسائط منها أكثر من واحد إليها تنحل جميع المتضادات وليس بعضها ينحل إلى بعض ولا يتركب من بعض ، قضينا بأن الأجسام البسائط التى توجد بها هذه المتضادات فى الغاية هى اسطقسات المركبات .

[٤٠] وهذا النحو من البيان هو برهان سبب ووجود ، وكأنه تحت الضرب الثانى من الصنف الرابع من أصناف البرهان ، لأبى نصر ، الذى هو : آجنس لبَ ، وبَ فصل لجّ . هذا إن جعلنا الاسطقس جنسا لهذه .

[٤١] فنقول : إن المتضادة التى توجد فى الأجسام المركبة العامة لجميعها ، هى المتضادات المدركة بحس اللمس ، إذ كل جسم طبيعى ملموس . والمدركة بحاسة اللمس هى الحرارة والبرودة ، والرطوبة واليبوسة ، والثقل والخفة ، والصلابة واللين ، والتخلخل والكثافة ، واللطافة والغلظة ، والقحل واللزوجة ، والخشونة والملاسة . أما الثقل والخفة فإنها وإن كانت توجد فى البسائط ، فإنها ليست لها بما هى اسطقسات ، إذ كانت ليست قوى فاعلة ولا منفعلة . والصور التى بها البسائط اسطقسات ، يلزم ضرورة أن تكون فاعلة ومنفعلة ، إذ كان وجود المركبات عنها إنما تكون بالاختلاط ، على ما سنبين . وأما الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة ، فإنها قوى فاعلة ومنفعلة ، وذلك ظاهر من رسمها .

[٤٢] أما الحرارة فإنها قوة فاعلة ، وذلك أن من شأنها جمع الأشياء ، المتجانسة التى من نوع واحد وتصييرها واحدة ، وذلك ظاهر فى صناعة التخليص وغيرها من المهن . ويلزم عن هذا الفعل تفريق الأشياء غير المتجانسة ، وتمييزها . لكن هذا الفعل هو لازم لها عن الأول ، وكأنه بالقصد الثانى أو بالعرض .

(١) فبالواجب : فالواجب ى ؛ ساقطة من م || الأشياء : للأشياء د ، د أ . (٢) التى (الثانية) : ساقطة من م . (٤) منها : ساقطة من م . (٥) ولايتركب : ولا بتركيب ى || قضينا : تبينا ط || بأن : أن ط || بها : لها ط ، م ، ى . (٦) هى اسطقسات : لاسطقسات ط . (٧) ووجود : وجود ى . (٩) جنسا : سببا د ، د أ ، ط . (١٣) والغلظة : والغلظ د ، د أ ، ى || والقحل : ساقطة من ى . (١٤) وإن : ساقطة من د ، ط || كانت : ساقطة من م . (١٥) والصور : والصورة ى . (١٦) المركبات : المركب د ، م ، ى || ما سنبين : ما تبين ى . (١٩) واحدة : واحدا د ، د أ ، ط ، م . (٢٠) غير : الغير د ، د أ ، ط || وتمييزها : وتميزها ط ، م ، ى || هو : ساقطة من ط .

[٤٣] وأما البرودة ، فإنها أيضا قوة فاعلة ، إذ كان من شأنها جمع المتجانسين وغير المتجانسين . وهذا أيضا ظاهر فى الأجسام التى تجمدها البرودة ، كأحجار المعادن والثلج وغير ذلك .

[٤٤] وأما الرطوبة واليبوسة فقوتان منفعلتان ، وذلك أن الرطوبة هى سهلة الانحصار من غيرها عسيرة الانحصار من ذاتها . واليبوسة بالعكس ، أعنى أنها عسيرة الانحصار من غيرها ، سهلة الانحصار من ذاتها .

[٤٥] وأما سائر الأضداد التى عددنا من الصلابة واللين واللطافة والغلظ فهى مع أنها ليست بقوى فاعلة ولا منفعلة تظهر بأيسر تأمل أنها منحلة إلى تلك القوى الأول . وذلك أن الصلابة من اليبس ، واللين من الرطوبة . وإذا كان اللين هو الذى يتطامن تحت الغمز ، والصلب بخلاف ذلك ، وكذلك اللطافة والغلظة ، فإن اللطافة لما كانت أسرع شىء إلى الانحصار من غيرها ، وكانت مائلة لما يحل فيه ، كما يقول أرسطو ، كانت من الرطوبة .

[٤٦] وإذا كان ذلك كذلك فالغلظ من اليبس ، وكذلك يظهر فى سائرها . وأيضا كثير من الأشياء تكون رطوبته فى نفس جوهره ، وهذا هو الذى يدعى باسم الرطب . وكثير منها توجد فيه الرطوبة عرضية ، فما كان منها ظاهر الشىء سمى المبتل وما كان منها فى باطنه سمى المنتقع . وليس لليبوسة المقابلة لصنف صنف من هذا اسم ، لكن هذه كلها راجعة إلى اليبوسة والرطوبة التى حددنا .

[٤٧] وأما الأربع قوى التى هى الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة ، فمع أنها قوى فاعلة ومنفعلة ، ليست توجد منحلّة إلى شىء ، ولا بعضها إلى بعض ، لأنه ليس الحار من البارد ، ولا البارد من الحار ، ولا الرطب من اليابس ، ولا اليابس من الرطب . وكذلك أيضا ليست

(١) المتجانسين وغير المتجانسين : المتجانس وغير المتجانس ى . (٤) سهلة : السهلة د ، د أ ، ط ، ى ‖ من : عن د . (٥) عسيرة (الأولى) : عسرة ى . (٧) من : فمن ى . (٧ ــ ٨) فهى . . ولا منفعلة : ساقطة من ط ، م ، ى . (٨) تظهر : فيظهر ط ، م ، ى . (٩) وإذا : إذ ط ، م ، ى ‖ يتطامن : يتعلا ى . (١٠) والصلب بخلاف : والضد كذلك م ‖ ذلك : ساقطة من م ‖ والغلظة : والغلظ ى ‖ لما : وإن ى . (١٠ ــ ١١) إلى الانحصار : للانحصار ى . (١١) وكانت مائلة لما يحل فيه : وما فيه م ‖ لما يحل فيه : ساقطة من د ، د أ ، ى . (١٢) وإذا : فإذا ى ‖ كثير : كثيرة م . (١٣) وهذا هو الذى : والذى ط ؛ وهو الذى م ؛ وهذه هى ى . (١٤) سمى (الأولى) : يسمى ى ‖ منها : ساقطة من د ، د أ ، م ى . (١٥) المنتقع : منتقعا د ، د أ ، م . المقابلة : الشاملة ط . من هذا : هذا من هذا ط . (١٧) قوى (الأولى) : القوى د أ ، ط ، م ، ى . (١٨) ومنفعلة : منفعلة د أ ، ط ، م . (١٩) أيضا : ساقطة من د .

الرطوبة من البرد ، بدليل وجود الهواء حارا رطبا ؛ ولا اليبوسة من الحرارة ، بدليل وجود الأرض باردة يابسة .

[٤٨] وإذا كان هذا هكذا ، وتبين أن هذه الأربع القوى أبسط المتضادات الموجودة فى المركب ، فمن البين أن الأجسام البسائط التى توجد هذه القوى صوراً لها ، وهى فيها فى الغاية من الفعل وعلى التمام ، هى اسطقسات المركب . لكنه لما كان واحد واحد من الأجسام البسائط ، إنما توجد لها قوتان من هذه القوى ، وإلا لم تكن الاسطقسات متضادة ،وكان ليس يمكن من مزاوجات هذه القوى غير الأربعة الموجودة فى الاسطقسات ، أعنى الحرارة واليبوسة ، والحرارة والرطوبة ، والبرودة والرطوبة ، والبرودة واليبوسة ، لأنها لا تجتمع الأضداد منها ؛ فالواجب ما لزم أن تكون هذه الأربعة هى صور الاسطقسات ، وأن يكون عددها هذا العدد .

[٤٩] وإذا قد تبين أنه يلزم أن توجد أجسام أربعة بسيطة بهذه الصفة ، عنها تتركب سائر المركبات ؛ وكان ما يظهر للحس موافقا لما أدى إليه القول ، وذلك أن النار حارة يابسة . أما كونها حارة ، فظاهر بالحس ، وأما كونها يابسة ، فلأنه ـ كما قال أرسطو : لما كان الجليد مضادا للنار إذ كان الخلاف بينهما فى الغاية ، وكان الجليد جمود بارد رطب ، فالنار غليان حار يابس . وذلك أنهما لو اختلفا فى مضادة واحدة ، أعنى فى الحرارة والبرودة فقط ، لم يكونا متضادين فى الغاية . والهواء حار رطب ، أما رطب فبدليل أنه سهل الانحصار من غيره عسير الانحصار من نفسه ؛ وأما حار فبدليل أن البرد يفسده ، والماء بارد بدليل أن الحار يفسده ، ورطب بدليل سهولة انحصاره من غيره وعسر انحصاره من نفسه .

[٥٠] والأرض باردة . يابسة ، إلا أنه يظهر أن النار أحق بالحرارة من الهواء ، والماء أحق بالبرودة من الأرض . وكذلك أيضا يظهر أن الهواء أحق بالرطوبة من الماء ، إذ كان أسهل

(٣-٤) وتبين .... المركب : ساقطة من د ، دأ . (٣) الأربع : الأربعة ط . (٥) من (الأولى) : فى ى || لكنه : ولكن د ، دأ ، م || واحد واحد : واحد ى . (٦) لها : له د ، دأ ، ط ؛ بالطبع م . (٦) وإلا ... متضادة : ساقطة من د ، دأ . (٧) من : ساقطة من ط ، ى || غير : عن ى || فى : من م . (٨) لأنها : لأنه ط . (٨-٩) لأنها لا تجتمع الأضداد : ساقطة من د ، دأ ، ى . (٩) منها : ساقطة من د ، ى || فالواجب : بالواجب د ، دأ ، م ؛ فبالواجب ط || الأربعة : الأربع ى ؛ ساقطة د ، دأ . (١١) بسيطة : ساقطة من دأ . (١٢) للحس : حسا د ، دأ ؛ بالحس ط ، م || موافقا : موفقا ى . (١٣) فلأنه : فإنه د ، دأ ، ى || قال : يقول د ، دأ ، ط ، م . (١٤) فى : ساقطة من ى || حار : ساقطة من دأ . (١٥) أنهما لو : لو أنهما ط . (١٦) فبدليل : فدليل ى || عسير : عسرى . (١٧) من : فى د ، دأ ، م || نفسه : ذاته ى || فبدليل : فدليل ى || والماء : + رطب فهو د ، دأ ، ى . (١٨) من نفسه : من ذاته د ، دأ ؛ بذاته م ، ى . (٢٠) أيضا : ساقطة من د ، دى ، ى .

انحصارا من غيره ، والأرض أحق باليبوسة من النار إذ كانت أعسر انحصارا من غيرها . فبالواجب ما كانت هذه الأجسام الأربعة هى الاسطقسات .

[٥١] وذلك أن القياس يأتلف هكذا : هذه الأربعة أجسام هى التى توجد لها المضادة الأولى ،وعددها العدد الحادث عن تركيب المضادة الأولى ، والأجسام التى توجد لها هذه المضادة الأولى وعددها عدد المضادة الأولى ، هى الاسطقسات . فينتج عن ذلك أن هذه الأجسام هى الاسطقسات .

[٥٢] فأما أن هذه الأجسام الأربعة هى اسطقسات جميع المركبات ، فذلك بين من أن المركبات لما كانت تتكون فى الموضع الأسفل الذى فيه الأرض ، وذلك إما فى ظاهر الأرض كالحيوان والنبات ، وإما فى باطنها كالمعادن ، وجب ضرورة أن يكون فيها جزء من الأرض . فإن ما هو فى مكان الأرض بالطبع ، وهو الوسط ، هو ضرورة إما أرض ، أو شىء أرضى .

[٥٣] ولما كانت الأرض ليس يمكن بما هى يابسة أن تقبل الانحصار والتشكيل دون أن يخالطها الماء ، وجب ضرورة أن يكون فى كل مركب أرض وماء . وإذا وجد الماء والأرض فى كل مركب ، فباضطرار ما يلزم فيها وجود الضدين الآخرين ، أعنى النار والهواء ، وإلا لم يحصل التعادل الموجود فى المركب ، ولا حصل المتوسط بين الحار والبارد والرطب واليابس .

[٥٤] وبالجملة ، فالحال فى الأجسام الطبيعية كالحال فيما يعالج المهنة من الأجسام الأرضية ، ومثال ذلك صناعة الخزف . فكما أن الخزف إنما يلتئم بالماء والتراب ثم يطبخ بالنار حتى يصير له قوام ، كذلك الأمر فى الأجسام الطبيعية . وسيظهر هذا على التمام فى الرابعة من الآثار .

(١) غيره : ذاته د ، دأ ، ط ، ى . (٢) كانت : كان د ، دأ ، دأ || الأجسام الأربعة : الأربعة أجسام ى || هى : من دأ . (٣) أجسام : الأجسام د ، دأ ، ط ، م . (٤) هذه : ساقطة من د ، دأ ،م .(٥) عدد المضادة الأولى : هذا العدد د ، دأ ؛ عدد المتضادة ط ؛ عدد المضابدة ى .(٦) الاسطقسات :+ وعددها هو عدد الاسطقسات م . (٧) فأما أن هذه : وعددها هو عددها وتبين أن هذه د ، دأ || فذلك بين : أيضا دأ ، ى || أن : + جميع م . (٨) تتكون : تكون د ، د ، دأ || فى : ساقطة من د ، ط . (٩) كالمعادن : كالمعدن ى .(١٠) ما هو: ما كان م || أو شىء : وإما شىء ط ، م. (١١) ولما كانت : ساقطة من د ، دأ || الأرض : ساقطة من د ، د أ || ليس : وليس د ، د أ . (١٢) وجب ضرورة : وجد باضطرار د ، د أ ، ى || أن يكون : ساقطة من دأ ، ى . (١٣) ما يلزم : يلزم ى || وإلا : وإن ى . (١٦) فكما أن الخزف : ساقطة من ى .

[٥٥] ويبين ذلك أيضا من أنا نجد جميع المركبات تنحل إلى هذه الأربعة الاسطقسات . وذلك أنها تنحل بالتصعيد إلى الماء وبالتعفين إلى الأرض . وبعضها يستحيل بأدنى حركة إلى النار ، كالمرخ والعقاد . وكل ما ينحل إلى شىء ، فهو مركب منه ضرورة ، وقد يوقف على هذا إيضا من جهة الغذاء فيما شأنه التغذى . وأبين ما يظهر ذلك فى النبات فإنه يغتذى بالماء والتراب ، ولذلك تعمد الاكرة إلى خلطهما .

[٥٦] وإذ قد تبين من هذا القول أىٌّ هى الاسطقسات وكم عددها ، فهو أيضا مما يلوح من قرب أن المركبات منها إنما تحدث عنها بالاختلاط الذى تقدم شرحه لأنه لايمكن وجود شىء مّا واحد بالفعل عن أكثر من شىء واحد بالفعل . وذلك الشىء مغاير بالصورة ، والماهية لتلك الأشياء التى تركب منها إلا بالاختلاط .

[٥٧] ولذلك ليس يمكن أن يوفى السبب فى هذا المعنى ، القائلون بأن اسطقسات الأجسام هى الأجزاء ذوات الكمية ، وسواء كانت منقسمة أو غير منقسمة ، لأن على هذا الرأى يلزم أن يكون الكون تركبا ، فلا تكون هنالك مغايرة الصورة والماهية بين المركب واسطقساته . وليس يكون على هذا كون فى الجوهر ، بل فى العرض .

[٥٨] وكذلك لايمكن أن يوفى السبب على هذا الرأى فى كثرة الأشياء المركبة وتغايرها بالماهية والصورة ، لأن العلة فى ذلك إنما هو اختلاف مقادير الاسطقسات فى المركب وتزيدها فى بعض وتنقصها فى بعض آخر ، فإنه ليس السبب فى اختلاف صور الأجسام المتشابهة الأجزاء شىء غير هذا . وبهذا يخالف اللحم العظم ، وجميع الأجسام المتشابهة الأجزاء بعضها بعضا . وذلك أنه كانت الاسطقسات فى المركب بالقوة القريبة من الفعل ، اختلف وجود واحد واحد منها فى مركب مركب ، فى القرب والبعد من الفعل .

(١) جميع : ساقطة من م . (٢) أنها : أن ط ، ى || الماء : النار ى || وبالتعفين : بالتعقيدى . (٣) كالمرخ والعقاد : كالمرج والقفارة د ، دأ ؛ ساقطة من ى [المَرْخُ : شجر من العِضاه من الفصيلة العشاريّة ، ينفرش ويطول فى السماء ، ليس له ورق ولا شوك ، سريع الاشتعال يُقْتَدحُ به . وفى أمثالهم : « فى كل شجر نارٌ ، واستمجد المَرْخُ والعَفار . » « المعجم الوجيز »] || وكل : وفى كل ط ، م . (٤) فيما : ساقطة من ى . (٥) والتراب : والأرض ى . (٦) أى هى : إلى هذه ى . (٧) مر رب : بقرب م || منها : منهما ى . (١٠) ولذلك : وذلك د || المعنى : ساقطة من م || القائلون : للقائلين ى . (١١) لأن على : لا على ى . (١٢) تركبا : تركيبا د ، دأ ، م || فلا تكون : ولا يكون ى || المركب : : مركب ط . (١٤) لا يمكن : لم يكن ى . (١٥) المركب : المركبات م . (١٦) آخر : آخرى ى . (١٧) شىء : الشىء د ، دأ . (١٨) اختلف : واختلاف ى .

[٥٩] ولذلك كان بعض المركبات أقرب إلى أن يستحيل نارا ، وبعضها أقرب إلى أن يستحيل ماءاً وأرضا وهواء ، أو اثنين من هذه أو أكثر . وعن هذا المقدار من الاختلاط الموجود فى واحد واحد منها ، توجد الفصول الخاصة بكل واحد منها ، كالانطراق للذهب ، وغير ذلك من فصول الأجسام المتشابهة الأجزاء ، والقول فى تكون الأجسام المتشابهة الأجزاء وإعطاء أسباب فصولها العامة ، هو فى الرابعة من الآثار .

[٦٠] وإذا قد تبين هذا المقدار ههنا من أمر كون الأجسام المركبة وإعطاء مبادئها القريبة المادية ، فلننظر فى الكون البسيط ، أعنى كون الأجرام المبسوطة بعضها عن بعض ، وعلى أى جهة تكون ، وعلى كم وجه تقع .

[٦١] فنقول : إنه من الظاهر للحس تكون بعضها عن بعض . وقد يظهر ذلك أيضا من جهة ماهى أضداد ، وذلك أن الأضْداد من شأنها أن يُفسِد بعضها بعضا عند ما يستولى أحدهما على الآخر . وإنما صار واحد واحد من الاسطقسات غير فاسد بكليته من قبيل التكافوء الذى بينهما والمساواة . ولذلك حيث أعطى أحدهما الكثافة وعسر الانفعال كالأرض جعلت صغيرة ، وحيث أعطى أحدهما السخافة وسرعة الانفعال جعل لها الكبر كالهواء . ولولا ذلك لفسد العالم وصار خرابا يبابا .

[٦٢] وإذا كان من الظاهر تكون بعضها عن بعض ، كما قلنا ، فهو أيضا من البين بنفسه أن ذلك يقع على ثلاثة أنحاء : أحدها ، وهو الأسهل ، أن يفسد أحدها إلى المجاور له الذى يليه كالأرض تعود ماء ، والماء هواء ، والهواء نارا ، وبالعكس . وإنما كان هذا سهلا ، لأن ليس يحتاج فى تكون بعضها عن بعض على هذه الجهة أكثر من فساد كيفية واحدة بمقابلتها ، وتزيد فى الكيفية الأخرى . وذلك أن كل واحد من الاسطقسين المتجاورين ، إنما يتضاد بكيفية واحدة . ومثال ذلك أن الأرض إذا فسدت منها اليبوسة فعادت رطبة وتزيدت البرودة ،

(١) بعض : ساقطة من ى || المركبات : المركب ط ، ى . (٢) وعن : من د . (٤) والقول . . الأجزاء : ساقطة من ى . (٥) هو : ساقطة من ى . (٧) كون : + هذه د ، م || الإجرام : + الاربعة د . (٧ — ٩) وعلى أى جهة . . . بعض : ساقطة من د ، دا ، م . (١٠) أن الأضداد : أن من الأضداد ى . (١١) فاسد : فاسدة ى || قبيل : قبل دا ، ى . (١٢) الانفسال : الأفعال ى . (١٣) جعلت . . . الانفعال ؛ ساقطة من د ، دا || جعل : جعلت ى . (١٥) وإذا : وإذ ى || عن ؛ من د ، دا . (١٦) أنحاء : ساقطة من د . (١٨) بمقابلتها : وتكون مقابلتها د ، دا ، ط ، م . (١٩) فى : من ط || المتجاورين : المجاورين ط . (٢٠) فعادت : عادت ى || رطبة : رطوبة د ، دا ، ط ، م .

دان ذلك كونا للماء وكذلك حال الماء مع الهواء ، إذا فسدت منه البرودة ، وتزيدت الرطوبة ، كان ذلك كونا للهواء ، وعلى هذا حال الهواء مع النار ، وبالعكس أعنى حال النار مع الهواء ، والهواء مع الماء ، والماء مع الأرض .

[٦٣] وأما النحو الثانى من تكونها ، وهو أعسر ، فهو أن تتكون الاسطقسات المتضادة فى الكيفيتين جميعا بعضها من بعض ، وهذا إنما يكون فى الاسطقسات التى لا تتجاوز ، كالنار تعود ماء والهواء أرضا ، وإنما صار هذا أعسر ، لأنه يحتاج الفاسد منها أن يفسد فى الكيفيتين جميعا ، والمتكون أن يتكون فيهما جميعا . ومثال ذلك أن النار لاتعود ماء حتى تفسد منها الحرارة واليبس وتتولد الرطوبة والبرودة ، وكذلك حال الهواء مع الارض .

[٦٤] وأما النحو الثالث من تكوّنها ، فهو أن يتكون واحد منها عن اثنين ، وذلك إنما يمكن منها فى المتضادة فى الكيفيتين ، لا فى المتضادة بكيفية واحدة ، وهى المتجاورة ، ومثال ذلك النار والماء يتكون منهما الهواء والأرض . أما الهواء فبفساد يبوسة النار وبرودة الماء ، وأما الأرض فبفساد حرارة النار ورطوبة الماء . وعلى هذا النحو يحسن تولد النار من الأرض والهواء . وذلك أن اللهيب ـــ كما يقول أرسطو ـــ هو دخان مشتعل ، والدخان إنما هو من الهواء والأرض .

[٦٥] وأما الأسطقسات المتجاورة ، فليس يمكن ذلك فيها . والعلة فى ذلك أنها تتضاد بكيفية وتشترك فى أخرى ، كالنار والهواء والماء والأرض . فإذا فسد من كل واحد منهما طبيعته لم يتولد عنهما شيء آخر . ومثال ذلك أن تفسد من النار اليبوسة ، ومن الهواء الرطوبة ، فتبقى الحرارة مفردة ، وليس يوجد اسطقس حار فقط . وكذلك متى فسدت الحرارة فيهما ، بقى الضدان ، وهما : اليبوسة ، والرطوبة . والضدان معا لايجتمعان فى جسم واحد .

(١) منه : فيه د . (٥) إنما : بأن د ، دأ ؛ لما ى . (٧ — ٩) ومثال ذلك . . . تكونها : وذلك لا يحصل إلا بتكونهما إلى الوسط د ، دأ . (٩) فهو : وهو ى ‖ واحد منها : واحد منهما د ، دأ . (١٠) يمكن منها : يمكن منهما د ، دأ ‖ المتضادة (الأولى) : المضادة ى ‖ الكيفيتين : + جميعا م ‖ وهى : فهى ط ، م . (١١) أما : وأما ط ، م ‖ وأما : أما ى . (١٢) وعلى : على دأ ، ط . (١٣) والهواء : + ماء ونارا د ، دأ ‖ اللهيب : النار ، دأ . (١٦) طبيعته : كيفية ى . (١٧) لم : ثم ى ‖ عنهما : عنها د . (١٨) وكذلك : ولذلك دأ . (١٩) وهما : ساقطة من ط ، ى .

[٦٦] وهذا الصنف من التكون كأن أعسر من الأول ، وأسهل من الثانى . أما كونه أسهل من الثانى ، فإن الفساد فيه والتكون إنما يكون فى كيفية واحدة . وأما عسره فلأن هذا الضرب من التكون إنما يحصل بفساد شيئين ، لكنه لكل واحد منهما فساده فى كيفية واحدة . ولذلك قلنا إنه أعسر من الأول .

[٦٧] وإذ قد تبين هذا من أمر المكون البسيط ، وكان قد تبين أيضا من أمر المكون المركب المقدارُ الذى تبين ، فقد ينبغى أن نفحص عن الأسباب العامة لجميع مايكون ويفسد ، وهى الأسباب القصوى بجهة مّا . فإنه بهذا الوجه يمكن أن يعطى أسباب شىء شىء من الأمور الجزئية الكائنة الفاسدة من غير تكرار فى التعليم ، كما فعل فى السماع فإنه هنالك أعطيت الأسباب العامة لجميع ما قوامه بالطبيعة ، سواء كان أزليا أو مكونا .

[٦٨] فنقول : إن تلك الأسباب التى أعطيت هنالك ، هى بأعيانها أسباب الكون والفساد . فإنه قيل هنالك : إن الأسباب أربعة : مادة الشىء ، وصورته ، وفاعله ، وغايته .

[٦٩] أما المادة الأولى التى تبين هنالك وجودها ، فهى المادة الأولى بعينها لجميع ما يكون ويفسد . والأجسام الأزلية ، وإن قيل فيها إنها ذوات مواد ، فبضرب من التشكيك . لأن تلك ليس فيها إمكان لأن تخلع صورها ، ولا أن تفسد أيضا ، على ماتبين فى السماء والعالم ، بل إنما يوجد لها من معنى المادة أنها موضوعة فقط ، إذ كان المحرك منها مغايرا للمتحرك ، وكانت إنما تقبل الحركة من جهة الموضوع لا من جهة الصورة .

[٧٠] وأما الصورة الكائنة الفاسدة فليس يوجد قول يعمها ، بل هى فى واحد واحد من الموجودات الجزئية مابه يتجوهر ، ولذلك تلخيصها بما يخصها إنما يكون عند النظر فى واحد

(١) وهذا : وهو د ، دأ . (٢) فيه : فيهما د ، ط ، م || يكون : يوجد د ، دأ || واحدة : + أعنى أن الفساد من كل واحد منهما هو كيفية والتكون أيضا يكون فى كيفية واحدة م . (٣) لكنه : لكن ى ؛ ساقطة من د ، دأ || لكل : كل د ، دأ ، ى || فساده : فسادى || فى كيفية : وكيفية ى || ولذلك : وهذا م ؛ + ما ط ، م ، ى . (٤) قلنا : قلناه ى . (٥) هذا : ساقطة من ط ، ى || المكون (الأولى) . الكون ط ، م ، ى || أيضا : ساقطة من ط ، ى || المكون (الثانية) : ساقطة من ط ، ى . (٦) لجميع ما يكون : لجميعها مما د ، دأ . (٩) بالطبيعة : [بهذه الكلمة انتهى الكلام فى نسخة ى . وكتبت العبارة التالية : « تم القول والحمد لله رب العالمين » . المحقق] . (١٠) إن : ساقطة من م . (١٣) لأن : أن دأ . (١٥) منها : فيها م . (١٦) الصورة : الصور د ، دأ . (١٧) واحد واحد : واحد ط . (١٨) الجزئية : ساقطة من د .

واحد منها . وإذا كان هذا هكذا ، فالذى عنه الفحص ههنا ، هو السبب الفاعل الأقصى للكون والفساد . وهو الذى ذهب إعطاؤه على جميع القدماء ، فيما زعم أرسطو . وينبغى أن ينظر ههنا من أمره ، هل هو بعينه السبب الأقصى الذى تبين وجوده فى السماع ؟ وإن كان ، فهل هو محرك قريب للتكون ، أم ذلك بمتوسط ، وهو الجسم السماوى ، لأن المحرك أعم من الفاعل . وذلك أن الفاعل هو ما شأنه أن يفعل أثرا ، وكيفيته فى المتحرك عنه . ولذلك ليس يطلق أرسطو اسم الفاعل على المحرك الأول .

[٧١] فنقول : أما فى الكون البسيط ، وهو تكون الاسطقسات بعضها عن بعض ، فإنه من الظاهر أن الفاعل لذلك حركة الأجزاء المستقلة دورا ، ولولا ذلك ، لم يكن فيها كون ولافساد يجرى على نظام وترتيب محدود ، بل كان ليس يمكن لأجزاء الاسطقسات فساد ألبتة ، إذ كانت متعادلة بكليتها ، وكل واحد منها فى مكانه الطبيعى ، وليس ههنا شىء يحركها حتى يلغى بعضها بعضا ، على غير تعادل فى قواها .

[٧٢] وكذلك يظهر الأمر فى كون المركبات من البسائط ، فإنه ليس فى الاسطقسات كفاية فى أن تختلط وبمتزج ، حتى يأتى منها موجود آخر ، وذلك دائما وبالذات . كما أنه ليس فى النار بما هى نار كفاية فى أن يكون عنها جسم صناعى ، حتى يستعملها الصانع ويقدرها . وكذلك مايظهر ههنا أن فى حركات الأجرام السماوية كفاية فى أن تعطى صور الأجسام المعدنيات مع الاسطقسات . فأما النبات والحيوان ، فقد يظهر أنه يحتاج فيه إلى إدخال محرك آخر فى هذا العلم على ماسنبين بعد .

[٧٣] وإذ قد تبين هذا من أمر حركة النقل دورا ، فبالواجب ماقيل إنها متقدمة لسائر التغاير إلا أنه ليس فى الحركة الأولى الواحدة كفاية فى أن يكون سببا للكون والفساد ، إذ الأمور المتضادة أسبابها متضادة . ولذلك بالواجب كانت الحركات كثيرة ومختلفة ، وبخاصة

(١) الأقصى : ساقطة من د ، دأ . (٤) للتكون : للكون د ، د أ . (٧) عن : من د ، دأ ، م . (٨) الأجزاء : الأجرام د ، دأ || كون : تكون د ، دأ . (٩) لأجزاء : فى أحد د ، دأ . (١٢) وكذلك : وذلك أيضا ط . (١٤) يستعملها : استعملها د || ويقدرها : ولذلك يقدرها ب ، دأ ؛ ويصورها م . (١٥) وكذلك : ولذلك ط ، م || فى (الأولى) : + جميع دأ . (١٦) يظهر أنه : ساقطة من د ، دأ . (١٧) فى هذا العلم : ساقطة م د ، دأ . (١٨) النقل : النقلة دأ . (١٩) التغاير : التغايير م . (٢٠) ومختلفة : مختلفة د ، ط || وبخاصة : وخاصة دأ .

حركة الشمس فى فلكها المائل . فإن هذه الحركة هى السبب أولا فى كون مايكون وفساد ما يفسد . وذلك أنها إذا دنت كانت سببا لوجود أكثر المتكونات ، وإذا بعدت كانت سببا لفساد أكثر الموجودات . والفاعلة للفصول الأربعـــــة التى هى الربيع والصيف والخريف والشتاء ، هى هذه الحركة .

[٧٤] فالفاعل عند أرسطو لاتصال الكون والفساد هى حركة الشمس فى الفلك المائل . وليس توجد هذه الحركة للشمس وحدها ، بل للقمر وجميع الكواكب المتحيرة ، وإن كانت الشمس فى ذلك أظهر فعلا . وذلك أن الذى تفعله الشمس فى مسيرها فى فلكها المائل من اختلاف الفصول الأربعة ، يفعله كوكب كوكب فى مسيره فى فلكه الخاص . إلا أنه وإن كان يخفى عن التأثير الذى يخص كوكبا كوكبا منها فيما لدينا من الموجودات ، فإنه يظهر بالقول الكلى أن لها مدخلا فى الكون والفساد ، حتى لو توهمنا دفع حركة منها أو كوكب ، لكان إما أن لا يتم كون أصلا ، أو كان لا يتم كون بعض الموجودات . فإنه أيضا مما يظهر أن لبعض الموجودات اختصاصا بفعل كوكب كوكب ، ولذلك نجد الذين رصدوها على قديم الدهر قسموا الموجودات بحسبها فجعلوا موجودا كذا من طبيعة كوكب كذا ، وموجودا كذا من طبيعة كوكب كذا .

[٧٥] وبالجملة فالذى يظهر من أمر هذه الكواكب أنها كالمستكملة لحركة الشمس ، وأن معظم اختلافها فى تأثيرها إنما يكون بحسب قربها وبعدها من الشمس . وأظهر مايوجد هذا للقمر وعطارد والزهرة ، ويشبه هذا أن يكون هو العلة فى وجود الاختلاف لها بحسب قربها من الشمس وبعدها ، أعنى أنها إنما تفعل ضروب سيرها من السرعة والبطء والسير الوسط فى أبعاد محدودة من الشمس .

(٢) وذلك : + أيضا د ، دأ ، م || دنت : قربت د ، دأ ، م . (٤) هى : ساقطة من م || الحركة : الحركات د . (٥) هى . هو د ، دى . (٦) للقمر : وللقمر د ، دأ || وجميع : وبجميع م . (٧) الذى تفعله : ماتفعله د ، دأ . (٨) الأربعة : ساقطة من د ؛ + هو بعينه م || كوكب كوكب : كوكب م || فلكه : فلكها م . (٩) عن : هذا د || التأثير : التأثر د ، دأ . (١٠) لكان : أكان ط . (١٠ ــ ١١) أن لا يتم : أن الاسم د ؛ لا يتم ط ، م . (١٣) فجعلوا . . . كوكب كذا : فجعلوا وجود كذا من طبيعة كوكب كذا د ، دأ . (١٥) كالمستكملة : كالمتصلة د ، دأ . (١٦) اختلافها فى تأثيرها : اختلاف تأثيرها د ، دأ ؛ اختلافها تأثير هذا م || يكون : + هذا هو العلة فى وجود الاختلاف لها د ، دأ . (١٦ ــ ١٧) وبعدها . . . قربها : ساقطة من د ، دأ . (١٧) لها : ساقطة من م . (١٨)أنها إنما : ساقطة من ط ، م سيرها : مسيرها ط .

[٧٦] وإذ قد ظهر من أمر الشمس والكواكب فبالواجب إذن ماكان نشء الموجودات وهرمها ، وبالجملة لمدة بقائها ، أدوارا محدودة من مسير الشمس والكواكب فى بعدها وقربها . وذلك أنها هى التى تعطى لموجود موجود مزاجه الخاص به ، ثم يكون نشؤه وهرمه بحسب مافى طباعه أن يقبل هذين التغيرين عنه قربها أو بعدها . ولذلك نجد نشء الموجودات يكون بأدوار محدودة من أدوار هذه الكواكب ، وكذلك هرمه . فبعض يتقدر بحركة الشمس ، وبعض بحركة القمر ، كالحال فى مدة بقاء الإنسان فى الرحم وفى كثير من الحيونات .

[٧٧] وليس يبعد أن يكون ههنا موجودات تتقدّر أعمارها بدورات كوكب كوكب من سائر الكواكب . ولذلك ما قيل إن الأعمار محدودة وإن الآجال تقدر . وهذا إنما يكون مالم يطرأ على الموجود شىء بالعرض ، مثل الفساد الذى يحدث فى الهواء ، والتدبير الردىء ، وسائر الأمور التى ليست أسبابا طبيعية للفساد .

[٧٨] ولما كانت هذه الحركات أزلية ، على ماتبين لكون المحركين لها أزليين ، فبالواجب مايكون الكون والفساد أيضا أزليا ، وذلك إما فى كون الاسطقسات بعضها عن بعض ، فضرورة إذ كانت هذه الأجرام السماوية تحركها الحركات المتضادة عند القرب والبعد من غير وسط بينها ، كالحال فى الشمس ، فإنها إذا بعدت منها ، كان ذلك سببا لتكون الأمطار لغلبة كيفية الماء ، وإذا دنت كان ذلك تكوّنا للهواء الحالّ عليه . ولذلك لسنا نقدر أن نتصور إخلال الكون على هذه الجهة ، إذ كانت هذه الأجرام السماوية أزلية بالشخص ، والاسطقسات بالنوع ، على ماتبين . وكذلك يشبه أن يكون الأمر فى المعادن ، وفى كثير من النبات والحيوان ، الذى لايتولد عنه بزر .

[٧٩] وبالجملة ، فكل ماليس يحتاج فى وجوده إلى محرك أكثر من الشمس وسائر الكواكب ، لأن هذه وإن كانت مضطرة فى وجودها إلى مكان خاص تتكون فيه ، وهو وجه الأرض أو مايليه ، فإنه من الظاهر أن الأجرام العالية هى التى تلى حفظ هذا المكان بالنوع .

(١) والكواكب : وللكواكب د ، دى . (٤) أو بعدها : وبعدها د ، دأ ، م || ولذلك : + ماء ، ط ، م . (٥) وكذلك هرمه : ساقطة من م . (٩) الموجود : الوجود م . (١٢) فى كون : تكون ط . (١٣) تحركها : يحركه ط . (١٤) منها : منا د ، دأ || لغلبة : تغلبه د ، دأ . (١٥) وإذا : إذا ط ، م || دنت : أدنت د ، دأ || الحال عليه : لحال غلبته د ، دأ ، م || ولذلك : ساقطة من د ، دأ .

وإلا غلب عليه الماء ، إذ كان الوجود الطبيعى للأرض بما هى ثقيلة إنما هو أن تكون بجميع أجزائها تحت الماء ، إذ كان قد تبين أنها النهاية الملائمة لها . وذلك ظاهر أن هذا فعل الكواكب ، وبخاصة الشمس ، فعلا ذاتيا .

[٨٠] فأما هل هو ضرورى أو أكثرى ففيه موضع فحص ، يوقف عليه من النظر فى أمر الأنواع التى تتولد عن برز ، وهى الأشياء التى تحتاج مع تحريك الأجرام السماوية إلى محرك آخر قريب . فإن الإنسان كما يقول أرسطو يولده إنسان آخر ، والشمس . وإذا وضع هذا كما هو بين من أمر هذه الأنواع المتناسلة ، أعنى أنها أزلية فيما مضى ، فهو أيضا من البين أنها ليست يمكن أن تحل فيما يستقبل ، وذلك بطر وآفة عليها من الآفات الاسطقسية . كأنك قلت فساد الهواء ، أو طفو الماء على جميع الأرض ، لأنها لو أخلت أو كان منها إمكان لأن تحل ، لكان قد خرج ماكان ممكنا من ذلك إلى الفعل فى الزمان الماضى غير المتناهى ، وذلك مرات لانهاية لها ، وكانت لاتوجد الآن أصلا .

[٨١] وبالجملة ، فقد تبين أنه لايمكن أن يكون شىء أزليا فيما مضى ، ويفسد فى المستقبل . وبالعكس أعنى أن يكون شىء كائنا ، ويبقى أزليا . فإذا كان هذا هكذا ، وتبين أن الكون والفساد أزليان ، وكانت الأزلية فى هذا التغير وفى سائر التغايير الكائنة الفاسدة إنما توجد بالتتابع والتشافع ، فقد ينبغى أن نبين على أى وجه يوجد ذلك فيها .

[٨٢] فنقول : إن هذه الأمور الممكنة الوجود ، أما إذا وجد المتقدم منها ، فليس يلزم ضرورة عنه وجود المتأخر . ومثال ذلك أنه إذا وجد الأساس لم يلزم وجود البيت . وأما إذا وجد المتأخر فيها ، فإنه يلزم ضرورة وجود المتقدم . ومثال ذلك إذا وجدت أنت فقد وجد أبوك ضرورة . وكذلك إذا وجد بيت فقد كانت أساسات وحجارة بالضرورة . وأما فى الأمور الأزلية ، فإن المتقدم فيها يلزم المتأخر ، والمتأخر المتقدم . ومثال ذلك إذا وجد المنقلب الشتوى ، وجد ضرورة المنقلب الصيفى . وإذا كان هذا هكذا ، فعلى أى جهة ليت شعرى

(١) الطبيعى : ساقطة د ، دأ . (٤) فحص : ساقطة من ط . (٧) المتناسلة : المتناسبة د ، دأ || من البين : بين د ، دأ . (٩) طفو : طموط || لأن تحل : لا تحل م || تحل : تختل ط . (١٠) غير : الغير ط . (١١) وكانت : فكانت د . (١٢) أزليا : أزلى د ، دأ ، م || فى : من دأ ، ط ، م . (١٣) أن يكون : ساقطة من ط ، م || كائنا : كائن ط ، م || فإذا : وإذا ط ، م . (١٤) التغير : التغيير ط || التغايير : التغاير ط . (١٦) منها : فيها د ، دأ . (١٩) أساسات ؛ أساس د ، دأ . (٢١) هذا : ساقطة من ط ، م .

يوجد الدوام فى الأمور الممكنة والتتابع ، أذلك على جهة الدوام ، أم ذلك على جهة الاستقامة .

[٨٣] فنقول : أما وجود الدوام لها على جهة الاستقامة ، فذلك ممتنع فى الحاشيتين جميعا ، أعنى فيما مضى وفيما يأتى . وذلك أنه فيما مضى ، وإن كان يلزم عن وجود المتأخر وجود المتقدم ، فلسنا نقرر أن نجعل ذلك مارا على استقامة بالذات إلى غير نهاية فى الماضى ، لأنه كان يحتاج المتأخر فى وجوده إلى أسباب تتقدمه بغير نهاية ، وذلك محال وجوده بالذات ، فإن وجدت الاستقامة فى الموجودات المتناسلة فبالعرض . ومعنى بالعرض هنا يتصور بما يتبين فيما يستقبل . إن المعطى صور هذه الموجودات المتناسلة التى هى ما هى ، هو محرك من خارج غير البزر وإن البزر آلة له .

[٨٤] وإذا كان ذلك كذلك ، وتبين أن هذا المحرك فعِله لا نهاية له ، لم يمتنع أن يفعل بآلات لا نهاية لها أفعالا لا نهاية لها . فإن وضعت تلك الآلات بعضها أسبابا لبعض ، كان ذلك بالعرض ، وكذلك أيضا لا يمكن أن يعرض لها البقاء الأزلى على جهة الاستقامة فيما يستقبل لا بالذات ولا بالعرض ، وذلك أنه ليس يلزم عن وجود المتقدم وجود المتأخر ، على ما قلنا . وإذا كان هذا ممتنعا ، فالبقاء لهذه الأنواع ضرورة إنما يوجد لها دورا ، وذلك من قِبَل المحرك الأزلى والمتحرك دورا ، فإنه متى كان غيم فقد كان مطر ، ومتى كان مطر فقد كان غيم . وكذلك متى وجد إنسان ، فقد وجد إنسان آخر قبله ، وقد يوجد آخر بعده إلا أن ما كان منها ليس يحتاج فى وجوده إلى أكثر من الأسطقسات والأجرام السماوية ، فإن الأجرام السماوية كافية فى بقائه على هذه الجهة .

[٨٥] وأما ما كان يحتاج فى وجوده إلى إدخال مبدأ آخر كالحيوان والنبات ، على ما رآه قوم ؛ أو الإنسان فقط ، على ظاهر كلام أرسطو ؛ فإنه يرى أن فى الأجرام السماوية كفاية فى

(١) أذلك : أو ذلك ط ، م . (٤) أنه : ساقطة من ط ، م . (٥) نقرر : نقدر د ، دأ || نجعل : ط ، م . (٦) وجوده : وجود د ، فإن : بل أن د ، ط ، م . (٧) يتبين : مبين دأ . (٩) البزر (الأولى) : البزور ط ، م . آلة له : له آلة ط ، م . (١١) لها : ساقطة من د ، ط ، م . (١٥) والمتحرك : المتحرك دأ ، م . (١٥ - ١٦) فقد كان غيم : فغيم ما يراه ط ، م . (١٦) وكذلك متى : ومتى د ، دأ || آخر (الأولى) : ساقطة من ط || آخر (الثانية) : ساقطة من م . (١٧) فإن الأجرام : فالأجرام د ، دأ . (١٩) ما رآه : ما يراه م . (٢٠) ظاهر كلام : ما يراه م . (١٩ - ٢٠) على ما رآه . . كفاية فى : ساقطة من د ، دأ .

إعطاء ما دون العقل . فذلك حاصل لها من قبلها معا ، أعنى الأجرام السماوية ، وذلك المبدأ .

[٨٦] إلا أن مثل هذا الكون الدائر ، إما كون دورانه بالنوع ، فضرورى ؛ وإما دورانه بالشخص ، فغير ممكن . وذلك أنه ليس يمكن أن يوجد زيد بعينه بعد أن وجد ، حتى يكون يعود دورا . ولا يمكن عن وجود هذا الغيم وجوده مرة ثانية دورا وذلك أن الواحد يلزم أن يكون الموضوع له واحدا . وإذا فسد الموضوع ثم كان ، فهو ضرورة ثانيا بالعدد . وسواء فرضت الفاعل لها واحدا بالعدد أو لم تفرضه ، على ما يدعيه أصحاب الدورات ، فإن هؤلاء يقولون إنه إذا عادت النصبة التى كانت لجميع أجزاء الفلك حين وجد زيد عاد زيد بعينه ، وهذا محال لما بيناه .

[٨٧] والاسكندر يرى فى النصب والهيآت التى توجد لفلك فى وقت مّا ، أنها لا تعود بالشخص أبدا . ويقول إنا لو فرضنا الكواكب كلها فى نقطة واحدة من فلك البروج ، كأنك قلت فى الحمل ثم ابتدأت كلها بتحرك السريع منها والبطىء ، لم يلزم ضرورة أن تعود كلها إلى تلك النقطة بعينها التى ابتدأت تتحرك ، إلا أن يكون أدوار بعضها بقدر أدوار بعض ، حتى تكون مثلا متى تمت الشمس دورة واحدة ، ثم القمر اثنى عشرة دورة . وكذلك يلزم أن تكون نسبه دوران الشمس من واحد واحد من الكواكب ، وحينئذ كان يمكن أن تعود كلها لموضع واحد ، ولأى وضع فرضته .

[٨٨] وقد نجد الأمر بخلاف ذلك ، فإن الشمس تقطع دائرتها فى ثلثمائة وخمسة وستين يوما وربع يوم ، والقمر يقطع دائرته فى سبعة وعشرين يوما ونصف . وسبعة وعشرون يوما ونصف ، إذا ضوعفت ليست تعنى ثلاثمائة وخمسة وستين يوما وربع .

(١) إعطاء . . . العقل : ساقطة من د ، دأ || أعنى : على د . (٣) إلا أن : ساقطة من د ، دأ || كون : ساقطة من د ، دأ . (٤) بعينه : ساقطة من د ، دأ . (٦) ثانيا : ثان د ، دأ || وسواء : سواء دأ . (٧) لها : لهما د ، دأ . (٨) إنه : ساقطة من دأ || لجميع : بجميع د ، دأ . (٩) لما : مما ط ، م . (١٢) تعود كلها : تكون عادت د ، دأ . (١٤) متى : ثم د . (١٥) دوران : دورات د ، دأ . (١٨) فى سبعة . . . ونصف : سبعة وعشرين يوما وتسعة وعشرين يوما د . (١٨ ـ ١٩) ونصف . . . ونصف : ساقطة من دأ . (١٩) ثلاثمائة : بثلاثمائة م || وربع : + يوم د ، دأ ، م .

[٨٩] وإذا كان هذا هكذا ، وكان الفاعل ليس يعود واحدا بالعدد ، ولا الهيولى يمكن ذلك فيها ، فقد تبين امتناع عودة الشخص من كل جهة ، وذلك ما أردنا أن نبين .

[٩٠] وهذا القول فيه تسامح ، وذلك أنه ليس يلزم إذا لم تكن دورة القمر بقدر دورة الشمس بأيامها أن لا يقدر أحدهما الآخر أصلا ، إذ قد يمكن أن يكون المقدار المشترك زمانا صغيرا ، بل إن كان الأمر هكذا فالمشترك لها ربع يوم ضرورة . لكن الوقوف على هذه الأدوار التى للكواكب ، هل هى مشتركة أم لا ممّا يعسر ، أولا يمكن . فإن ذلك مبنىّ على معرفة زمان الدورة الواحدة منها لكوكب كوكب على التحقيق ؛ وذلك غير ممكن للتقريب الداخل فى الرصد . والذى يمكن أن يوقف عليه من ذلك ، هو أنها يقدر بعضها بعضا بتقريب ، كما يرى ذلك أصحاب النجوم ، وكيف ما كان الأمر فليس يمكن أن يعود الشخص .

[٩١] انقضى القول فى هذا الكتاب والحمد لله والصلاة على نبيه محمد وآله وسلم .

(٣ ــ ٥) وهذا . . . . ضرورة : ساقطة من م . (٣) فيه : هو د . (٤) أنّ لا يقدر : ألا بقدر د ، دأ . (٥) لكن الوقوف : والوقوف د ، دأ . (٦) فإن : لأن د ، دأ || زمان : زمن د ، دأ . (٨ ــ ٩) والذى يمكن . . . النجوم : ساقطة من م . (٨) هو : وهو ط . (١٠) انقضى : وهنا انقضى م || فى : + تلخيص م || الكتاب : + كتاب الكون والفسادم || والحمد . . . وسلم : بحمد الله وعونه بسم الله الرحمن الرحيم ط ؛ والحمد لله ما ينبغى حمده به م .

INTRODUCTION

La tâche de l'édition critique des classiques de notre patrimoine culturel est une oeuvre de longue haleine. Elle en peut se réaliser qu'avec le concours de personnes compétentes. L'oeuvre d'Averroes est multiforme et variée; elle demande de nombreux spécialistes dans des domaines divers parce qu'en elle se rejoignent et s'entraident la philosophie et la science.

Si Averroes s'est intéressé á la Logique et à la Métaphysique, il a aussi consacré de longs efforts á l'étude de la Philosophie de la nature sous ses différents aspects. Sa **Métaphysique et** son **Tahafut al-Tahafut** (Destructio destructioni) ont surtout attiré l'attention des chercheurs. Par contre, ses ouvrages sur la Physique n'ont pas été suffisamment étudiés. Nous espérons que dans l'entreprise de l'édition des textes classiques de notre partimoine culturel, cette lacune sera comblée.

Le texte que nous présentons a été préparé par deux chercheurs qui ont longuement fréquenté Averroes, á savoir le Dr. Abu'l-Wafa al-Taftazani et Prof. Sa'id Zayed. Nous souhaitons que cet ouvrage sera le début d'une série dont ils assureront la réalisation. Il est heureux qu'ils aient pu avoir recours, pour la mise au point du texte ã plusieurs manuscrits dont ils ont su profiter pour établir un texte clair et précis. Espérons qu'ils puissent poursuivre leur étude de la Philosophie de la nature du grand philosophe arabe dans ses diverses parties.

Au nom de tous les lecteurs, je remercie nos deux collaborateurs pour leur travail, en leur souhaitant force et santé pour remplir la tâche dont ils ont été chargés.

Ibrahim Madkour

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

رقم الايداع بدار الكتب ٩٨٥٨/ ١٩٩٠

I. S. B. N. 977 - 01 - 2661 - 6

JAWĀMI'

(EPITOME)

DE GENERATIONE ET CORRUPTIONE

(AL-KAWN WAL-FASAD)

Texte établi

par

Dr. Abu'l-Wafa al-Taftazani et **Prof. Sa'id Zayed**

Revision et Introduction

par

Dr. Ibrahim Madkour

Conseil Supérieur de la Culture

(Sous Les auspices de l'union Académique Internationale)

Société Générale Égyptienne d'Édition Le Caire

L'organization Egyptienne General du Livre

1991

JAWĀMIʿ

(EPITOME)

DE GENERATIONE ET CORRUPTIONE

(AL-KAWN WAL-FASAD)

Texte établi

par

Dr. Abu'l-Wafa al-Taftazani et Prof. Sa'id Zayed

Revision et Introduction

par

Dr. Ibrahim Madkour

Conseil Supérieur de la Culture

(Sous Les auspices de l'union Académique Internationale)

Société Générale Égyptienne d'Édition Le Caire

L'organization Egyptienne General du Livre

1991